المخاطر والأهوال فى محيط الشمال !

●● الذين ذهبوا للقطب الشمالى :

فى أقصى شمال الأرض توجد أبرد رقعة مائية على الأرض وهى المحيط القطبى الشمالى ، حيث تتجمد المياه ، وتتحول إلى كتل وجبال ثلجية تعوق مرور السفن ، وتعرضها لأخطار جسيمة .

والناس منذ زمن بعيد أدركوا أن هناك منطقة باردة للغاية فى شمال الأرض .

واستطاع المستكشفون الإغريق الوصول إلى تلك المنطقة القطبية ، واعتقدوا أنها تمثل نهاية الأرض ، ولا شىء آخر بعدها . وبعد رحلة كولومبس الشهيرة بعدة سنوات ، وصل مستكشفون أوربيون إلى تلك المنطقة ، وهم « داجاما» ، و «ماجيلان» وذلك أثناء محاولاتهم للكشف عن طريق جديد من جهة الغرب إلى جزر التوابل (بلاد الهند) .

●● الرجل الذى سُمِّي باسمه «مضيق بيرنج» .

«فيتوس بيرنج» من أشهر المستكشفين الذين وصلوا للمنطقة القطبية الشمالية.

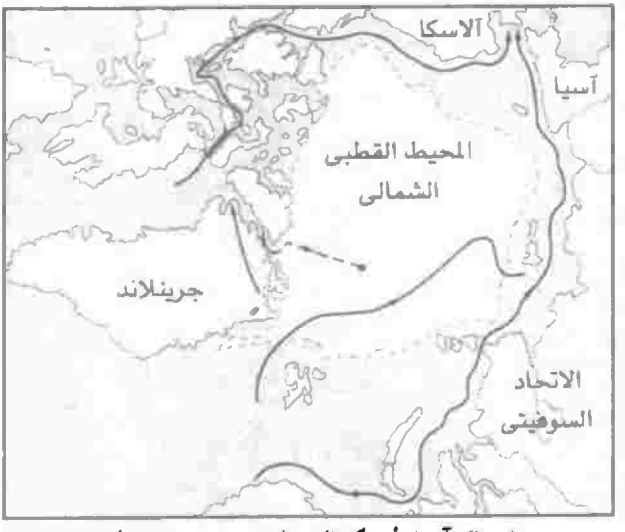

اتصال آسيا بأمريكا الشمالية عبر مضيق بيرنج

كان يعمل بيرنج بالبحرية الروسية ، وفى سنة ١٧٢٤ أرسله الملك «بطرس الكبير» فى رحلة استكشافية لمعرفة ما إذا كان هناك اتصالاً بين قارة أمريكا الشمالية وقارة آسيا من أقصى الشمال ، وتوصل بيرنج إلى وجود مضيق مائي يفصل بين القارتين والذى سمى فيما بعد باسمه «مضيق بيرنج» .. كما سمى البحر الذى يتصل بهذا المضيق «جنوب آلاسكا» باسم بحر بيرنج .

- الكُوخ الخشبى الذى بقى سليماً بالقطب الشمالى لمدة ٣٠٠ سنة !

ومن الحكايات الطريفة عن الاستكشافات الجغرافية بالقطب الشمالى هذه الحكاية .

فى سنة ١٥٩٦ بعث الهولنديون بالبحّار «ويليم بارنتس» لاستكشاف المنطقة الواقعة شمال وشرق النرويج لاحتمال العثور على منفذ بحرى إلى المحيط الهادى، ووصل بارنتس وطاقمه إلى «منطقة نوفيازمليا» [منطقة شديدة البرودة ببحر بارنتس شمال غرب سيبيريا] وهناك تجمدت مياه البحر وتكوّنت كتل جليدية ضخمة أحاطت بسفينة بارنتس ، وأدت إلى انفصال أعواد الخشب بعضها عن بعض استخدم بارنتس ورفاقه تلك الأعواد كجر حتى وصلوا إلى الشاطئ .. وهناك استخدموا الأخشاب فى إعداد كوخ لحمايتهم من البرد القارص . وقضوا فترة الشتاء بتلك المنطقة وسط برودة شديدة أدت إلى تجمد ما معهم من شراب ! وعاشوا خلال تلك الفترة على صيد الحيوانات .

شكل الكوخ الذى شيده بارنتس وسط ثلوج القطب الشمالى والذى ظل باقياً لمدة ٣٠٠ سنة !

وفى سنة ١٨٧١ ، أى بعد مرور حوالى ٣٠٠ سنة، على تلك الرحلة جاءت رحلة استكشافية إلى المنطقة ووجدت «الكوخ الخشبى» الذى شيده بارنتس ، ووجدت أدوات الطبخ والأوانى التى استخدموها ، وعثروا على بنادقهم الخاصة.. حيث حفظ الجليد كل هذه الأشياء طوال هذه السنين . لكن البعثة لم تجد بالطبع بارنتس ولا أحداً من طاقمه !!

•• أفيال البحر وجزر البرتقال !

أثناء رحلة بارنتس إلى القطب الشمالى ، وصل إلى مجموعة من الجزر أطلق عليها اسم «جزر البرتقال» .. ورأى على سواحلها مجموعة كبيرة من حيوانات ضخمة خرجت من الماء لتستدفئ بأشعة الشمس .. وهى حيوانات أفيال البحر ، وقال «بارنتس» فى وصف هذه الحيوانات :

فيـل البحر

إن «فيل البحر» حيوان عجيب ، ذو قوة خارقة ، جلده سميك وناعم مثل جلد «عجل البحر» ، شعره قصير ، له فم أسد ، وأربعة أرجل ، وليس له أذنان ، وله نابان كالفيل .

ما فائدة النابين البارزين لفيل البحر ؟

يستخدم فيل البحر هذين النابين فى التنقيب عن القواقع البحرية بقاع المحيط .

كانت الدبة القطبية تمثل تهديداً قوياً لمستكشفى المناطق الشمالية الجليدية إذ يمكنها قتل إنسان بضربة واحدة !

وفى موسم التزاوج تتصارع ذكور فيل البحر وتشتبك بعضها مع بعض بأنيابها .. والأقوى فى هذا الشجار هو الذى يفوز بالأنثى !

- النرويجى المغامر الذى قضى ثلاث سنوات وسط الجليد ولم يصل للقطب الشمالى !

فريد تجوف ناسن أثناء رحلته للمناطق الثلجية الشمالية .

النرويجي «فريدتجوف ناسن» كان عالماً مرموقاً تحوّل من دراسة علم الحيوان إلى علم المحيطات . أراد «ناسن» استكشاف منطقة القطب الشمالى .. وكان يعلم جيداً الصعوبات التى يمكن أن يواجهها بالإبحار فى تلك المنطقة الثلجية.. ولذا صمم سفينة خاصة قوية بدرجة كبيرة يمكنها تحمل صدمات الثلوج ، وأطلق على سفينته اسم «fram» . واستمرت رحلة نانس ثلاث سنوات طاف خلالها بمعظم أجزاء المنطقة الشمالية للنرويج ، لكنه لم يتمكن من الوصول للقطب الشمالى . ومع

هذا فرحلته كانت مفيدة للغاية حيث جمع معلومات كثيرة عن الحياة فى تلك المناطق الباردة الثلجية ساعدت المستكشفين فى رحلاتهم التالية لتلك المناطق .

•• أغرب رحلة للقطب الشمالي كانت داخل منطاد طائر !

رحلة أندريه : لقد ظل استكشاف «المنطقة القطبية الشمالية» أمراً شاقاً للغاية، محفوفاً بكثير من المخاطر ، بسبب تراكم الجليد بتلك المنطقة ، وانخفاض درجة الحرارة بها انخفاضاً شديداً .

وفى سنة ١٨٩٤ بدأ التفكير فى استكشاف تلك المنطقة بطريقة غير مسبوقة باستخدام منطاد يجول المنطقة ، ويكتشف خباياها ، وبذلك يتجنب المستكشفون مخاطر السفر بالسفن التى تتعرض للإصابات والتلف بسبب الجبال الجليدية القائمة وسط البحار ، ومخاطر الانتقال على الأرجل فى تلك المناطق القاسية .

اقترح تلك الفكرة المستكشف السويسرى «إريك نوردنسكولد» .. وقام بعرضها على المهندس السويسرى «سالمون أوجست أندريه» والذى كان يعمل بمركز الأبحاث السويدى وكان من أكبر خبراء الطيران وصناعة المناطيد.

ورغم غرابة تلك الفكرة إلا أنها لاقت قبولاً من الجمعية الجغرافية السويدية، وبدأ تنفيذ المنطاد الخاص بالرحلة تحت إشراف أندريه .

كان ذلك المنطاد عبارة عن بالون ضخم مزود بحظيرة من أسفله للركاب ، وبعدة أحبال للقيادة ، وقدرت سرعته بنحو ٢٠ ميلاً فى الساعة ، وكان مقرراً أن يطير بارتفاع حوالى ٨٠٠ قدم عن سطح الأرض .

بداية الرحلة : وفى سنة ١٨٩٦ استعدت الرحلة للانطلاق وكانت تضم «أندريه» واثنين من المستكشفين ، بالإضافة لصانع البالون .

غادرت سفينة الرحلة ستوكهولم وانطلقت شمالاً إلى جزيرة «دينز» حيث كان مقرراً إطلاق المنطاد من تلك الجزيرة ليطير فوق منطقة القطب الشمالى ، وهناك قام الرجال بملء المنطاد بغاز الإيدروجين ، ولم يتبق سوى انتظار هبوب الرياح الجنوبية لتدفع البالون فى الاتجاه للشمال . لكن الرياح لا تأتى بما تشتهى السفن !.. فعلى مدار بضعة أشهر طال انتظار أندريه ورجاله لهبوب الرياح الجنوبية .

ومع قدوم فصل الربيع أتت الرياح الجنوبية المنتظرة !. وقام أندريه ورجاله بإطلاق عدة بالونات صغيرة لمتابعة اتجاهها ، فتحركت بالفعل فى الاتجاه الشمالى . وصعد الرجال إلى حظيرة المنطاد ، وحرروا حباله ، وانطلق بهم المنطاد فى الهواء وظل يرتفع تدريجياً فى الاتجاه نحو الشمال .

اختفاء طاقم الرحلة : ومنذ ذلك الوقت انقطعت أخبار رحلة «أندريه» عن الجمعية الجغرافية فى السويد ، ولم يعرف أحد عنها شيئاً . وخرجت بعثات استكشافية للبحث عن أندريه ورجاله ، لكنها لم تعثر لهم على أى أثر !

ومرّ عامان على بدء الرحلة .. وأحس الجميع باليأس من عودة أندريه ورجاله خاصة بعدما صرح الرحالة الكبير «ناسن» عن أنه لا أمل فى العثور على طاقم الرحلة وأنهم فى عداد المفقودين . وفى سنة ١٩٠١ توفى «إيريك نوردنسكولد» الذى أثار فكرة استكشاف المنطقة القطبية باستخدام المنطاد . ومنذ ذلك الوقت أُسدل الستار على بعثة «أندريه» بعدما صار من الواضح أنه لا أمل فى العثور على أفراد البعثة .

**** مفاجأة غير متوقعة !***

وبعد مرور أكثر من ثلاثين عاماً وقعت مفاجأة غريبة . ففى صيف سنة ١٩٣٠ ، كانت تتجه سفينة نرويجية ناحية القطب الشمالى منتهزة فرصة حلول الصيف الدافئ وذوبان الجليد بتلك المنطقة . ورست السفينة عند جزيرة «هوايت» .. ونزل الملاحون يستطلعون الجزيرة ، فعثروا بالصدفة على قارب من القماش السميك وبداخله علب طعام محفوظة ، وبعض الأوانى ، فأدركوا أنها متعلقات خاصة ببعض الملاحين الذين وصلوا للمنطقة ، وربما ساءت بهم الظروف ولم يتمكنوا من استكمال رحلتهم .. وبمزيد من البحث عثروا على بقايا جثة حفظتها الثلوج وكان مكتوباً على سترتها حرفان هما S.A وتذكر الملاحون رحلة «أندريه» التى انقطعت أخبارها منذ عدة سنوات .. وأدركوا أن هذين الحرفين يرمزان إلى «سالمون أندريه» قائد الرحلة المفقودة . وراح الملاحون يستكشفون باقى المنطقة المحيطة حتى عثروا على جثة أخرى مدفونة تحت أكوام من الرمال والحجارة ووجدوا على سترة الميت حرف S وأدركوا أنها جثة الشاب «ستاينبرج» أحد أفراد بعثة «أندريه» .

كانت لتلك المفاجأة وقع كبير فى نفوس أفراد الرحلة .. واحتاروا ماذا

يفعلون؟! هل يستكملون رحلتهم التى جاءوا من أجلها أم يعودون لأوطانهم ليعلنوا خبر العثور على جثة أندريه !

وقرروا أن يستكملوا رحلتهم ، لكنهم أثناء الملاحة تقابلوا مع سفينة أخرى عائدة إلى النرويج فأخبروا قائدهم بما حدث .. والذى قام بدوره بإشاعة الخبر بين الملاحين فى النرويج والسويد .

* ***بعثة خاصة إلى جزيرة هوايت*** : وعلى أثر ذلك الخبر بعث المسئولون ببعثه إلى جزيرة «هوايت» فكان العثور على جثة «أندريه» لإعادة الكشف عن أى آثار لرحلة أندريه تساعده فى الكشف عن سبب وفاته . واستطاعت البعثة العثور على مذكرات أندريه تلك التى دوّن بها مشاهداته وأحداث رحلته لكنها كانت فى حالة رديئة بالية .. كما عثرت البعثة على جثة الرجل الثالث الذى صاحب أندريه فى بعثته كما عثرت البعثة على آلة للتصوير استخدمها أندريه أثناء رحلته.

واستطاع المحققون من خلال فحص مذكرات أندريه وما عثروا عليه من مخلفات معرفة لُغز اختفاء أندريه ورجاله طوال تلك السنوات .

* ***لغز اختفاء ووفاة طاقم الرحلة*** :

لقد عرف المحققون أن الرحلة مرت بظروف قاسية ، فبعد إقلاع المنطاد صادف ضباباً كثيفاً وانعدمت الرؤية تقريباً ، وصار أندريه ورجاله يطيرون فى الفضاء ، فى اتجاه مجهول .. واستمر ذلك لبضعة أيام حتى ظهرت أرض جزيرة «نورث إيست» من تحتهم ، لكنهم لم ينعموا بالأمان طويلاً ، إذ سرعان ما تقلّب المناخ تقلباً شديداً مما جعلهم يفقدون السيطرة على المنطاد ، واستمر ذلك الوضع لعدة أيام حتى توقف المنطاد عن

الحركة بعدما اشتبك طرف الحبل المُدلّى منه بكتلة ثلجية ضخمة ، وحاول أندريه جاهداً تحرير الحبل حتى تحقق له ذلك ، لكن تلك المحاولة أسفرت عن تمزق كل أحبال البالون حتى سقط بهم على الأرض ، وتسرب منه أغلب كمية الغاز ، وبذلك لم يعد أمامهم أمل فى مواصلة الرحلة بالمنطاد .

وبسقوط المنضاد وانهياره شعر أندريه ورجاله باليأس والمصير المشئوم الذى ينتظرهم .. وتمنوا لو يمكنهم العودة إلى الوطن .. ولكن كيف يمكن ذلك بعدما استقر بهم الحال بين الثلوج والبرودة القارصة ولا يملكون سوى بضعة زحافات وكميات محدودة من الأطعمة .

وقرروا أن يدخروا طاقاتهم لبضعة أيام ، حتى يمكنهم مواصلة التقدم نحو وطنهم . وعاشوا خلال تلك الفترة محصنين داخل أكياس من القماش وهى التى جهزوها من قماش المنطاد .. فكانوا كلما اشتدت البرودة دخلوا إلى تلك الأكياس وقيدوها على أنفسهم .

وعندما حل الصيف وذاب بعض الجليد جهزوا قارباً من القماش وحاولوا المضى به حتى وصلوا إلى أرض جزيرة هوايت .. وهناك قضوا عدة أسابيع داخل كوخ قاموا ببنائه .. وبعدما نفد طعامهم اضطروا لصيد الدببة وسلخها وتناول لحمها . وكانت تلك هى آخر الأحداث التى استطاع المحققون فهمها ، والتوصل لها من خلال قراءة مذكرات أندريه ، وفحص ماكينة التصوير التى كانت لا تزال تحتفظ بصورة لأندريه أثناء اصطياد أحد الدببة .

لقد كان لتلك الرحلة التى قام بها أندريه ورجاله وقع كبير فى نفوس الشعب السويدى واعتبروا أندريه ورجاله أبطالاً ، ضحوا بحياتهم فى سبيل خدمة الوطن والعلم .

وأرسلت «هيئة الملاحة السويدية» سفينة بحرية خاصة لحمل جثث أندريه ورجاله من مكان العثور عليها وعادت بهم إلى أرض الوطن .

وفى يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٣٠ ، احتشد جمع كبير من السويديين فى الميناء فى انتظار قدوم السفينة التى تحمل جثث ورفاة الأبطال وأقيم احتفال كبير حضره «ملك السويد» الذى أمر بدفن جثث الأبطال تحت جنازة عسكرية .

أما السفينة التى عادت بجثث أندريه ورجاله وهى السفينة « سفنسكند» فقد تقرر الاحتفاظ بها وعدم التخلص منها لتظل أثراً يشيع الذكرى ببطولة أندريه ورجاله .

وعلى الرغم من المصير المأساوى لرحلة أندريه إلى القطب الشمالى باستخدام المنطاد .. فقد تكررت محاولات أخرى للقيام بنفس الرحلة .. مثل رحلة الأمريكى «إيلسوبرت» فى سنة ١٩٢٦ والذى استطاع باستخدام منطاد ضخم الوصول إلى مركز القطب الشمالى . ثم العودة مرة أخرى سالماً إلى آلاسكا !

– ***من هم سكان المنطقة الشمالية القطبية؟*** فى تلك المنطقة شديدة البرودة، كما فى شمال كندا ، وفى جزيرة جرينلاند يعيش الإسكيمو أولئك الذين يطلق عليهم كذلك «inuit» .. وهم نوعية مميزة من الهنود الحمر الذين يتميزون بقدرة هائلة على التكيف مع البرودة الشديدة .

عائلة من الإسكيمو بملابسهم المميزة

يعيش الإسكيمو على صيد الأسماك والحيوانات . ويصطادون عجول البحر (seal) من خلال فتحات يصنعونها بالجليد ويصنعون من جلدها قوارب يستخدمونها فى الصيد عندما يذوب الثلج فى فصل الصيف . أما فى فصل الشتاء فيصطادون الدببة القطبية على زحافات تجرها الكلاب .

وتتميز ملابسهم بأنها مدفئة ، وخفيفة فهى أخف من ملابس المستكشفين الذين زاروا تلك المناطق وهم يرتدون عادة سترة وسروالاً مصنوعين أيضاً من جلد عجل البحر . ويرتدون أحذية عالية «بوت» ويحشرون بها أحياناً طحالب لتدفئة أقدامهم .